مادة (هلك) دلالاتها واستعمالاتها وأساليبها في القرآن الكريم

الأستاذ الدكتور

محمد أحمد عيد الكردي

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الرياض السعودية

٠٠٩٦٦٥٠٥١٣٢٣٥٧

dralkurdy@hotmail.com

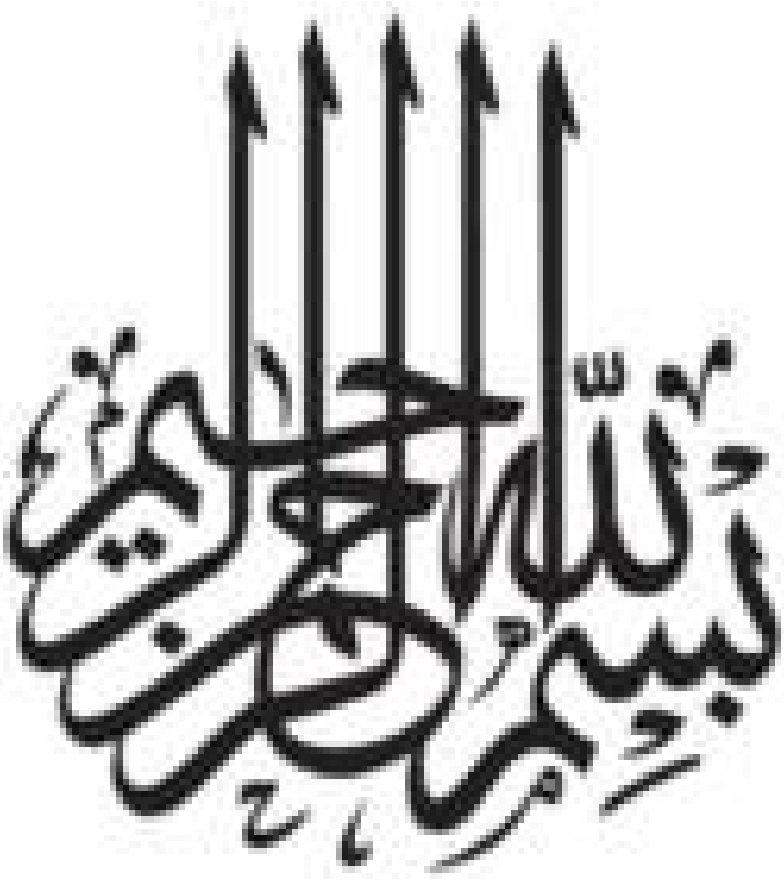

ملخص بحث

مادة (هلك) دلالاتها، واستعمالاتها، وأساليبها في القرآن الكريم

يتناول هذا البحث مادة(هلك) في القرآن الكريم من حيث الدلالات، والاستعمالات والأساليب، والروابط اللغوية، ووجوه الإعجاز البلاغي في هذه الحيثيات.

وذلك من خلال الجمع الاستقصائي لمادة هلك في آيات القرآن الكريم، ودراستها دراسةً علميةً عكف عليها المفسرون واللغويون والنحويون والبلاغيون...

وانحصر كل ذلك في مقدمةٍ، وتمهيدٍ، وثلاثة فصولٍ، وخاتمةٍ على النحو التالي:

أولاً: المقدمة: وفيها عنوان البحث، وسبب اختياره، وأهميته، وأهدافه، وحدوده.

ثانياً: التمهيد، وفيه: التأصيل اللغوي لمادة (هَلَكَ) واشتقاقاتها، ما يتقاطع – أو– يتنافر مع هذه المادة في القرآن الكريم، والحكمة الالهية من الإهلاك كسنةٍ من سنن الله في الكون.

ثالثاً: الفصول ومباحثها، ومطالبها، وهي:

الفصل الأول: مادة(هلك) ودلالتها في السياق القرآني.

المبحث الأول: أقسام المعاني الدلالية لمادة هلك.

المطلب الأول: هلاك استئصال.

المطلب الثاني: هلاك دون الاستئصال.

المبحث الثاني: المعاني الدلالية لمادة(هلك).

المطلب الأول: دلالة (هلك) على معنى الموت.

المطلب الثاني: (هَلَكَ) على معنى العذاب والعقاب.

المطلب الثالث: (هلك) على معنى ضل.

المطلب الرابع: (هلك) على معنى الفساد.

المطلب الخامس:(هلك) على معنى الكفر أو الإيمان.

الفصل الثاني: استعمالات (هلك) في السياق القرآني:

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: استعمال مادة (هلك) في جانب الله تعالى خوفاً ورجاءً:

المطلب الأول: استعمال هلك في قيمة الدعوة إلى الله تعالى.

المطلب الثاني: استعمال هلك على النظر في مظاهر قدرة الله تعالى.

المطلب الثالث: التحذير من خطر التكذيب بالله تعالى.

المطلب الرابع: العبرة والموعظة.

المبحث الثاني: استعمال مادة (هلك) في تعيين وقت وقوع الهلاك، وتنوعه، ودفعه، وعدم نفع الندم بعده.

المطلب الأول: في تعيين وقت وقوع الهلاك.

المطلب الثاني: تنوع أصناف الهلاك.

المطلب الثالث: دفع الهلاك من الله وحده.

المطلب الرابع: عدم نفع الندم، والحسرة.

المبحث الثالث: استعمال (هلك) على بعض تصرفات العباد.

المطلب الأول: الفساد.

المطلب الثاني: الظلم.

المطلب الثالث: الذنوب.

المطلب الرابع: بطر النعمة.

المطلب الخامس: النفقة.

الفصل الثالث: أساليب القرآن الكريم وبلاغته في عرض آيات الهلاك، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أساليب القرآن الكريم في عرض آيات الهلاك وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الأساليب الخبرية.

المطلب الثاني: الأساليب الإنشائية.

المبحث الثاني: البلاغة القرآنية في عرض آيات الهلاك، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الصور البيانية في عرض آيات الهلاك.

المطلب الثاني: الصور البديعية في عرض آيات الهلاك.

الخاتمة: وفيها: أبرز النتائج، والمصادر.

ومن الله عز وجل أستمد التوفيق والسداد في عرض هذه الباكورة العلمية على النحو التالي:-

أولا: المقدمة

الحمد لله الذي أعزنا بالإسلام، وشرفنا بمحمدٍ –صلي الله عليه وسلم– سيد الأنام وفضلنا بكتابٍ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

أسكت الفصحاء والبلغاء، وأدهش أصحاب العلوم والمعارف، وأنار بآياته ما تعجز عنه العقول والأفهام من العلماء والباحثين: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [فصلت: ٥٣]

وبعد.

فهذا بحث عنوانه: مادة: (هَلَكَ) دلالاتها، واستعمالاتها، وأساليبها في القرآن الكريم.

وكان من أهم أسباب اختياره المساهمة المعرفية في تجلية مادة: (هَلَكَ) ودوران استعمالها في القرآن لغة، ودلالة، وبلاغة وإعجازا، لما رأيته أثناء تأدية درسي في التفسير وعلوم القرآن حول غياب الفهم المعرفي لدي كثيرٍ من الدارسين والباحثين.

ومن هنا جاءت أهمية البحث، وما يؤمله من تقديم الزاد العلمي والمعرفي، وإثراء المعاني التفسيرية من خلال التعرف على تنوع مادة(هلك) دلالة واستعمالاً، وأساليب البلاغة والفصاحة في إيرادها في النص المبارك.

كما وضحت مشكلة اختياره أيضاً في أن البحث سيكون إن شاء الله تعالي معيناً للقارئ الكريم

على فهم القانون الألهي في سنة الهلاك والإهلاك للأمم والجماعات والأفراد.

وبهذا يتعين على القارئ الكريم أن يعرف بادئ ذي بدءٍ أن حدود الدراسة في هذا البحث ستتركز في جمع مادة(هَلَكَ) واستقصائها في الآيات القرآنية على اختلاف تصريفاتها واشتقاقاتها، ودراستها دراسة تفسيرية موضوعية ذات تحليلٍ في بعض الجوانب.

ثانيا: التمهيد:

(١) التأصيل اللغوي لمادة: (هَلَكَ)[١] واشتقاقاتها.

جد أصحاب المعاجم اللغوية في استقصاء المفردات العربية، وما تحمله كل مادةٍ من معنى واحد، أو عدة معانٍ، وما يهدف إليه من دلالاتٍ، وصلاتٍ.

وكان لهم في ذلك طرقٌ واتجاهات:

والطريق الأمثل إلى تأصيل المعنى اللغوي لمادة بحثنا:(هلك) إنما يخدمها الاشتقاقان الأكبر والصغير... دون باقي الاشتقاقات الأخرى، وبيان معرفتهما على النحو التالي:

(أ) تأصيل معنى(هَلَكَ) على طريق الاشتقاق الكبير: وهو أن دوران الجذر الأصلي لمادة(هَلَكَ) على ستة أصول: ثلاثة منها مستعملة في أصول اللغة وهي:

(١) هَلَكَ: قال ابن فارس: الهاء، واللام، والكاف، يدل على كسرٍ وسقوطٍ فيقال للميت: هَلَكَ، وهلكت القطاةُ خوف البازي، رمتْ بنفسها على المهالك.

(٢) هَكَلَ: قال ابن فارس: الهاء، والكاف، واللام، يدل على اشرافٍ وعلوٍ ومنه سُمي

الفرسُ الطويل: الهيكل، ومنه قول عقبة بن سابق:

وقد أغدو بطرفٍ هَيْ كلِ ذي مَيعْةٍ سَكبِ[٢] .

---

[١] انظر: مقدمة معجم مقاييس اللغة لابن فارس(ص:١٥)، دار إحياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠٨.

[٢] انظر: معجم مقاييس اللغة ص ١٠٣٤

(٣) كَهَلَ: قال ابن فارس: الكاف، والهاء، واللام، أصل يدل على قوة في الشيء، أو اجتماع جُلّه.

من ذلك: الكاهل: ما بين الكتفين سمي بذلك لقوته.

ويقولون للرجل المجتمع إذا وخطه الشيب: كَهْلٌ، وامرأة كهلة[1].

وهذه الثلاثة هي المستعملة لغويا من الدوائر الستة للجذر، والصلة الجامعة بينهما في الدلالة اللغوية هي: الايقاع القوي المحكم للإزالة والاسقاط.

وأن ثلاثة الدوائر الستة الباقية وهي: "ل ه ك" و "ل ك ه" و" ك ل ه" فهي من الجذور المهملة التي لا معنى لها في الأصل اللغوي.

(ب) أما تأصيلها على طريق الاشتقاق الصغير: فهو الأوسع انتشارا في إدراك معنى المادة العلمية لبحثنا(هَلَكَ).

وطريق معرفة معانيها من هذا الاشتقاق نراه في معاجم كثيرة أهمها:" لسان العرب" لابن منظور(ت٧١١ه)، وشرحه" تاج العروس من جواهر القاموس للسيد محمد مرتضي الزَّبيدي (ت١٢٠٥ه)، ومختار الصحاح للرازي.

ولقد اهتم الرازي في مختار الصاح بالنظام اللغوي لحركة الاشتقاق لمادة " هَلَكَ" دون أن يعرج على شيء من معانيها فقال: " هلَكَ الشيء يَهلكُ (بالكسر) هَلاكَاً، وهُلُوكاً، ومَهْلكاً (بفتح اللام، وكسرها وضمها). وتهلُكَةً(بضم اللام)، والاسم: الهُلْك (بضم الهاء).

قال: اليزيدي= التهلكَةُ: من نوادر المصادر ليست مما جري على القياس.

---

[1] المصدر السابق.

وأَهْلَكَه، واسْتهلَكه.

وهَلَكهُ: في لغة تميم بمعنى: أَهْلكه.

ويجمع هالكٌ على: هَلْكي، وهُلَّاك[1].

ورغم أن الزبيدي لم يتعرض لشيء من معانيها لكنه في عرضه هذا أقرب ما يكون إلى عرض مادة هَلَكَ، كما وردت في الآيات القرآنية، وكأنه يري وضوح معانيها.

فقد ذكرت مادة(هَلَكَ) بصورها الاشتقاقية في القرآن الكريم في تسع وستين (٦٩) موضعا من أربعين سورة،

ولكن يمكن حصرها على طريقة الزبيدي في الاشتقاق في الصور التالية:[2]

(١) صورة الماضي مجرداً: هَلَكَ في أربعة مواضع.

(٢) أو متعديا بالهمزة في ستة وعشرين موضعا شملت أغلب الضمائر المضافة للفاعل، أو المفعول به غائباً أو متكلماً، وذلك في ثماني اشتقاقات هي:-

أَهْلَكَ – أَهلَكْتُ –أَهلَكتْهُ – أَهلَكتْهمْ – أَهْلَكْنا – أهلكناها – أَهْلَكْناهم – أَهلَكَني – أُهْلِكوا.

---

[1] انظر: معجم مختار الصاح للزبيدي (٤٢٣)، دار صادر بيروت، الطبعة الأولي٢٠٠٤م.

[2] انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ص: ٨٢٨- ٨٢٩

(٣) صورة المضارع المبدوء بالنون، أو الياء، أو التاء على طريق البناء للمعلوم أو المجهول وذلك في سبع صور هي: نُهلكنا – نُهْلِكَ – نُهلِكَنَّ – يُهلِكَ – يُهْلكنا – يُهْلكونَ.

(٤) اسم الفاعل مفردا أو جمعا: في صورتين: هَالِك، هَالِكين.

(٥) المصدر الميمي: مضافاً إلى الضمائر، أو غير مضاف في سبع صور هن:

مُهْلِك – مُهْلِكهُمْ – مُهْلِكوا – مُهلِكوُها – مُهْلِكِي – مُهْلَكين – مَهْلِكَ – مَهْلِكهمْ.

(٦) المصدر المجرد في صورةٍ واحدةٍ هي: التهلكة.

ومن الجدير بالذكر أن القرآن الكريم: استعمل المصدر السماعي وهو: التهلكة: في قوله تعالي: {وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ } [البقرة: ١٩٥] وهو مصدر من المصادر النادرة التي جاء بها القرآن الكريم المستفادة من مادة هلك على غير قياس كما نقلناه عن الزبيدي.

ونستنتج من هذا: أن القرآن الكريم وظف أهم الاشتقاقات التي تخدم الغرض الذي سيقت له، وهو إظهار قدرة الله عز وجل على إيقاع الفناء على جميع الموجودات كلياً أو جزئياً. أي: استئصالاً أو دون الاستئصال.

المعاني اللغوية لمادة: هَلَكَ: ومن العرض السابق نجد أن اللغويين جميعاً مهما اختلفت طرقهم في تقليب مادة هَلَكَ: فإنهم يخلصون إلى حقيقة استعمالها اللغوي في: الإماتة والإفناء، وفي العقاب، وفي الإفساد.

وهي في كل معانيها تخلص إلى معنيين اثنين أن الهلاك إما هلاكٌ كلي، وإما هلاكٌ جزئي.

(٢) ما يتقاطع، أو يتنافر مع معاني هذه المادة:

(أ) نلاحظ أن مادة هلك يتقاطع معها في معانيها أو يتقارب أو حتي يترادف ألفاظ لغوية قرآنية ذات صلة بهذه المادة رغم أنها ليست من جذور مادتها من ذلك:

دمَّر، أخذ، عاقب، ، عذَّب، جزي، انتهي، توفي، حضره الموت ، درس، ذهب، ردي، زهق، عدم، غوي، فزَعِ، قضي نحبه، مات، نفد، نَعِقَ،(للبهائم)، هد، خمد، فسد، تلف، زال، ذهب.

١ــ دمّر: في قوله تعالي: {دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا } [محمد: ١٠]

٢ــ أخذ: في قوله تعالي: {كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ } [القمر: ٤٢]

٣ــ عاقب في قوله تعالي:{ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ} [الحج: ٦٠]

٤ــ توفي في قوله تعالي: {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [البقرة: ٢٨١]

٥ــ فزع في قوله تعالي: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ} [النمل: ٨٩]

٦ــ مات في قوله تعالي{ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ} [التوبة: ٨٤]

(ب)كما نلاحظ أن هناك مواد لغوية قرآنية متنافرة في المعنى ومضادة لمادة (هلك)؛ ومنها:-

١ــ أنقذ ٢ــ انبعث ٣. بقي ٤. حييّ ٥ــ خُلد

وكل هذا التقاطع أو التنافر وأمثالهما في القرآن الكريم يدل على إعجاز الله في كتابه العظيم، وأنَّي لبشر أن يحيط بهذه الأدبيات اللغوية السامية، وأن يستقيم له المادة الأدبية في خصائص ذاتها، وأصول حروفها، وأن يستقيم له أن يأتي بالعديد لمترادفاتها، وأن يستقيم له في ذات الإعجاز العلمي واللغوي مضاداتها، فسبحان من هذا كلامه، {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ } [فصلت: ٤٢]

(٣) الحكمة الإلهية من الإهلاك كسنة من سنن الله في الكون:

الثابت عند أهل الأديان السماوية أن الله عز وجل هو الخالق للكون والكائنات، وأن كل حيَّ مصيره الهلاك والفناء.. فلا بقاء لحيَّ سوى الله تعالى. وقد جرت سنته على ذلك منذ الأزل وإلى الأبد ... وإلى هذا أشار القرآن الكريم في آيات عدة إلى هذه السنة الإلهية منها:

- في قوله تعالى: (تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً) [الملك ١-٢]

قال الطبري: "يعني بقوله تعالى: (الذي بيده الملك): بيده ملك الدنيا والآخرة وسلطان نافذ فيهما أمره وقضاؤه.. لا يمنعه من فعله مانع، ولا يحول بينه وبينه (عجز.. الذي خلق الموت والحياة) فأمات من شاء وما شاء، وأحيا من أراد وما أراد إلى أجل معلوم"[١].

- في قوله تعالى: (كل نفس ذائقة الموت)

قال القرطبي: "وهذا مما لا محيص عنه للإنسان، ولا محيد عنه لحيوان، وقد قال أمية بن الصلت:

[١] جامع البيان للطبري ٣/٢٩

من لم يمت عَبْطَةً يَمُت هَرماً للموت كأس والمرء ذائقها[1]

وقال آخر:

الموت باب وكل الناس داخله فليت شعري بعد الباب ما الدار

فالموت سنة الله في الأحياء أي أمره الذي لا مفر منه.

وقد جاء من مادة هلك اسم الفاعل (هالك) ليقرر سنة الموت بأوضح معنى فقال جل شأنه: (كل شيء هالك إلا وجهه) [القصص: ٨٨].

قال الرازي: "قال المتكلمون .. وكل ما كان كذلك وجب أن يبقى على هذه الحالة أبداً لأن الإمكان من لوازم الماهية، ولازم الماهية لا يزول قط"[2]

والناظر في هذه السنة يرى أن لها صفتان:

أولاً: صفة اللزوم، أي أنها لازمة ضرورية لتقلب الدهور، وتعاقب الأمم، وترقى الأزمنة فلابد لكل مخلوق من فناء وهلاك أفراداً، وأمماً، ودولاً.

ثانيا: صفة الدوام أي أنها تقع بصفة مستمرة بين لحظة وأخرى مهما اختلف شكل الإهلاك فيها ولهذا جاءت الحكمة من سنة الله تعالى في الإهلاك .

فلو لم تكن سنة الإهلاك والإفناء لتعطل الكون بتكدس الأحياء فيه ولتوقف الغرض من خلق الإنسان وتناسله وبقاء كل نسلٍ بقاءً مؤقتاً وذلك ما عبرت عنه الآية الكريمة في قوله تعالى: (تبارك الذي بيده

[1] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٨٩/٤-١٩٠

[2] التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٢٣/٢٥ – دار الفكر – بيروت - ١٩٩٥

الملك وهو على كل شيء قدير الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً).

قال البيضاوي: "ليعاملكم معاملة المختبر بالتكليف أيها المكلفون؛ (أيكم أحسن عملاً) أصوبه وأخلصه.

وجاء مرفوعاً: أحسن عقلاً، وأورع عن محارم الله، وأسرع في طاعته"[1]

ثالثا الفصول، ومباحثها، ومطالبها.

الفصل الأول: مادة (هَلَكَ) ودلالتها في السياق القرآني:

المبحث الأول: أقسام المعاني الدلالية لمادة هلك.

تمهيد: في تتبعنا لمادة (هَلَكَ) كما وردت في السياق القرآني نجد أنها في مجملها تقع على نوعين من أنواع الإهلاك، وهما: إما الإهلاك الكلي- أو الإهلاك الجزئي- أو بتعبير آخر: يساق اللفظ ويراد به الاستئصال الكامل- أو- يساق ويراد به دون ذلك.

المطلب الأول: هلاك استئصال

لاحظ المفسرون للآيات التي تتناول مادة (هَلَكَ) أنها تكون للاستئصال الكلي بنحو الموت والهلاك، وهذا ما نراه في الغالب الأعم- للمادة على جميع صور تقلباتها في الصور الست التي أوردناها في المبحث.

وسنتناول نموذجا واحداً من كل صورة من صور تقلب المادة، وأقوال المفسرين من حولها فيما يأتي:-

- قوله تعالي: { إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ} [النساء: ١٧٦]

[1] تفسير البيضاوي ج٥/٢٢٨

أخرج الطبري عن السُدي قال: إن امرؤ هلك: يقول مات[1] وهو واضح الدلالة على أن الهلاك معنى به الاستئصال الكامل للمورث الكلالة وما يترتب بموته على توريث إخوته عن الأب، أو من الأب والأم.

- قوله تعالي: {وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا} [مريم: ٩٨].

يقول القرطبي: أي: هل ترى منهم أحداً، أو تسمع لهم ركزا أي: صوتا.

عن ابن عباس وغيره: أي قد ماتوا وحصلوا أعمالهم.[2]

- { وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا} [الإسراء: ١٦]

يقول القرطبي: "وإذا أراد – الله تعالي– إهلاك قرية مع تحقيق وعده على ما قاله تعالي أمر مترفيها بالفسق والظلم فيها فحق عليها القول بالتدمير".

- قوله تعالي: {قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ}[يوسف: ٨٥]

قال الرازي في تفسيرا الآية الكريمة: معنى الآية أنهم قالوا لأبيهم إنك لا تزال تذكر يوسف بالحزن والبكاء عليه حتي تصير بذلك إلى حرض لا تنتفع بنفسك معه أو تموت من الغم.[3]

---

[1] جامع البيان عن تفسير آي القرآن (١٠٨/١١) دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٠م

[2] جامع البيان عن تفسير آي القرآن (١٥٢/١٠).

[3] التفسير الكبير للرازي(٢٠٠/١٨)، دار الفكر بيروت ١٩٩٥م.

• قوله تعالي: {وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا}[الإسراء: ٥٨]

يقول الطبري: "يقول تعالي ذكره: وما من قرية من القري إلا نحن مهلكوا أهلها بالفناء فمبيدوهم استئصالا قبل يوم القيامة، أو معذبوها إما ببلاء من قبل بالسيف، أو غير ذلك".

ونقل عن مجاهد: مهلكوها، قال: "مبيدوها".[١]

وهذه النماذج التي سقناها من أقوال المفسرين توضح أن مادة (هلك) هنا إنما يراد بها الاستئصال الكلي، وهو معنى صريح وواضح فيما ذكر.

• ومنه ما جاء في قول النبي صلى الله عليه وسلم :"هلك المتنطعون" الحديث[٢].

• وقول النبي صلى الله عليه وسلم : "إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم" الحديث[٣]

المطلب الثاني: هلاك دون استئصال.

ومن الحقائق اللغوية لمادة(هَلَكَ) أن تأتي بغير ما يدل على الاستئصال أو الموت، بل لمعانٍ أخري واضحٌ في جذور الكلمة وأصولها، أو مفهوماً من سياقها في نص الآيات الكريمة.

• أما دلالتها على الهلاك دون استئصال في أصل جذورها:

فهو ما نقلناه آنفاً عن أصحاب الاشتقاق كابن فارس حيث يقول: " هَلَكَ: الهاء واللام والكاف: يدل على كسرٍ، وسقوطٍ[١].

---

[١] جامع البيان للطبري(١٣٣/١٥)

[٢] مسند بن أبي شيبة عن ابن مسعود ج١٩٨/١

[٣] أخرجه مالك في الموطأ عن أبي هريرة ص٣٤٣

وفسره الزبيدي بقوله: استهلك المال أنفقه وأنفذه.

أنشد سيبويه:

تَقولُ إذا اسْتَهلَكْتُ مالاً لِلذَةٍ فُكَيْهتَةُ هَشَّيْيءُ بِكَفَّيك لائق[٢]

فهذا كله ما يدل على أن معني الهلاك هنا هو هلاك جزئي دون الموت أي: دون الاستئصال وأنه ثابت في الجذر اللغوي للكلمة كثبوت الهلاك بمعنى الموت.

- وأما دلالتها على غير الاستئصال من سياق المادة في نسق الآية القرآنية، فهو أمر كثير وارد ومن أمثلة الدلالة عليه قوله تعالي: { أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا}[البلد: ٥، ٦]

قال البيضاوي: " يقول: أهلكت مالاً كثيراً من تلبد الشيء إذا اجتمع والمراد- أي بأهلكت- ما أنفقه سمعةً ومفاخرة، أو معاداة للرسول – صلى الله عليه وسلم –[٣] والمعني المستفاد منه أن كلمة أهلكت هنا تفيد إنفاق المال.. وليس الإهلاك الاستئصالي.

- وقوله تعالي: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [القصص: ٨٨]

فمادة (هالك) في الآية الكريمة:

قال الرازي: " فمن الناس من فسر الهلاك بالعدم، والمعنى أن الله تعالى يعدم كل شيء سواه، ومنهم من فسر الهلاك بإخراجه عن كونه منتفعاً

---

[١] معجم مقاييس اللغة لابن فارس ص١٠٣٥

[٢] تاج العروس للزبيدي(٢٤٢/٢٧)

[٣] أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي(٣١٣/٥) دار إحياء التراث العربي- بيروت ١٩٩٨م.

به إما بالإماتة أو بتفريق الأجزاء، وإن كانت أجزاؤه باقية فإنه يقال: هلك الثوب، وهلك المتاع، ولا يريدون به فناء أجزائه بل خروجه عن كونه منتفعاً به.

ومنهم من قال: معنى كونه هالكاً كونه قابلاً للهلاك في ذاته"[١].

ويستفاد من ذلك أن اشتقاق (هالك) جاء لمعان متعددة منها الاستئصال الكلي، والاستئصال الجزئي.

المبحث الثاني: المعاني الدلالية لمادة (هلك) في السياق القرآني:

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: هلك بمعنى الموت.

جاءت مادة (هلك) في القرآن الكريم في الآيات الكريمة الآتية:

- قال تعالى:{وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ (٣٤) } [غافر: ٣٤]
- قال تعالى:{ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ } [النمل: ٤٩].
- قال تعالى:{ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ } [النساء : ١٧٦].
- قال تعالى:{وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا} [الإسراء: ٥٨].

وبالتأمل في هذه الآيات الكريمة: نجد أن المادة تتراوح بين هَلَكَ، ويَهْلِكَ، ومَهْلِكَ، ومُهْلِكُوها، وهَالِك، فهذه الاشتقاقات الخمسة جاءت في هذه الآيات الكريمة كلها لتعطي مفهوم الإهلاك بمعنى الموت.

[١] التفسير الكبير للفخر الرازي ج٢٣/٢٥

يقول ابن جرير نقلا عن السدي في قوله تعالي: إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ: مات.[1]

- وفي قوله تعالي: { مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ } [النمل: ٤٩].

قال ابن عاشور: "والمهلك: مصدر ميمي من أهلك الرباعي، أي شهدنا إهلاك من أهلكهم[2].

- وفي قوله تعالي: { إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ} [غافر: ٣٤].

قال البيضاوي: "ولقد جاءكم يوسف ابن يعقوب من قبل موسى بالمعجزات فما زلتم في شك من الدين حتى إذا هلك أي: مات.

فالمادة صريحة باشتقاقاتها تلك صريحة في دلالتها على الموت أي: الفناء." [3].

المطلب الثاني: هلك بمعنى العذاب والعقاب.

وتأتي هذه الدلالات في الآيات الكريمة الآتية:

فالمادة هنا في هذه الآيات الثلاث الكريمة جاءت بمعنى العذاب والعقاب

{وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ} [الشعراء: ٢٠٨]

قال ابن عطية: "أنه لم يهلك قرية من القرى إلا بعد إرسال من ينذرهم عذاب الله عز وجل ذِكْرى لهم وتبصرة وإقامة حجة لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل"[4].

- قال تعالى: {وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ (٥٩)} [القصص: ٥٩]

---

[1] جامع البيان للطبري (٥٤/٦)

[2] التحرير والتنوير (١٩/ ٢٨٣)

[3] تفسير البيضاوي(٥٧/٥)

[4] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٢٤٤).

قال البيضاوي في الآية: "وكم من أهل قرية كانت حالهم كحالهم في الأمن وخفض العيش حتي أشروا فدمر الله عليهم، وخرب ديارهم فتلك مساكنهم خاوية"[١].

المطلب الثالث: هلك بمعنى ضلَّ.

وفي معنى هلك للدلالة على معنى ضل بمعنى تاه وذهب، {هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ} [الحاقة: ٢٩]

يقول الرازي: نقلا عن ابن عباس: ضلت عني حجتي التي كنت أحتج بها على محمد في الدنيا

وقيل: ذهب ملكي وتسلطي على الناس وبقيت فقيرا ذليلا"[٢].

المطلب الرابع: هلك بمعنى الفساد.

وتأتي هلك للدلالة على معنى الفساد كما جاء في:

- قال تعالى:{ ويهلك الحرث والنسل}[البقرة : ٢٠٥]

قوله تعالى: وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ.

قال ابن جرير: "الصواب من القول أن يقال أن الله تبارك وتعالي، وصف هذا المنافق بأنه إذا تولي مدبرا عن رسول الله صلي الله عليه وسلم عمل في أرض الله بالفساد، وقد يدخل في الإفساد جميع المعاصي، وذلك أن العمل بالمعاصي إفساد في الأرض"[٣].

---

[١] تفسير البيضاوي (١٨٢/٤).

[٢] تفسير الرازي (٣٠/ ٦٣٠)

[٣] جامع البيان للطبري(٤٣١/٢)

وقال ابن عطية عن مجاهد: "المراد أن الظالم يفسد في الأرض فيمسك الله المطر فيهلك الحرث والنسل" ، وقيل: المراد أن المفسد يقتل الناس فينقطع عمار الزرع والمنسلون" .

وقال عن الزجّاج: "يحتمل أن يراد بالحرث النساء وبالنسل نسلهن" .

وعن القاضي أبو محمد: والظاهر أن الآية عبارة عن مبالغة في الإفساد، إذ كل فساد في أمور الدنيا"[1].

المطلب الخامس: هلك بمعنى الكفر أو الإيمان.

وتأتي هلك بمعنى الكفر أو الإيمان، وذلك في قوله تعالي:

- {لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ } [الأنفال ٤٢]

قال القرطبي؛ وقال ابن اسحاق: "ليكفر من كفر بعد حجة قامت عليه وقطعت عذره ويؤمن من آمن على ذلك".

وقال ابن عطية: "لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ الآية، فالهلاك والحياة على هذا التأويل حقيقتان، وقال ابن إسحاق وغيره: معنى لِيَهْلِكَ أي ليكفر، وَيَحْيى أي ليؤمن، فالحياة والهلاك على هذا مستعارتان، والمعنى أن الله تعالى جعل قصة بدر عبرة وآية ليؤمن من آمن عن وضوح وبيان ويكفر أيضا من كفر عن مثل ذلك[2]".

الفصل الثاني: استعمالات (هلك) في السياق القرآني.

المتأمل في سياق مادة هلك في الآيات التسع والستين الواردة في أربعين من سور القرآن يلمح اندراجها تحت مفاهيم ثلاثة جامعة:

---

[1] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٢٨٠)

[2] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية (٢/ ٥٣٣)

الأول: استعمالها في الرجاء والخوف من الله تعالي، والثاني: استعمالها في وقت وقوع الهلاك ودفعه، والثالث: استعمالها في معالجته بعض تصرفات العباد.

ومنهجنا في هذا الفصل هو منهج استقرائي لمادة (هلك) من حيث استعمالها في السياق القرآني الذي وردت فيها للتدبر والنظر فيما وضعت له من عناوين تحت مباحث أو مطالب، والغرض هو حصر مادة هلك في استعمالاتها على هذه الصور التي سندرجها تحت مباحث ثلاثة تشتمل على ثلاثة عشر مطلبا وتفصليها على النحو التالي:-

المبحث الأول: استعمال مادة(هلك) في جانب الله تعالي خوفا ورجاء

المطلب الأول: استعمال (هلك) في قيمة الدعوة إلى الله تعالي.

• قوله تعالي:- وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٥)} [الأعراف: ١٦٤ - ١٦٥]"

قال مقاتل:

"وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ يعني عصابة منهم وهي الظلمة للواعظة لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذاباً شَدِيداً وذلك أن الواعظة نهوهم عن الحيتان وخوفوهم فلم ينتبهوا فردت عليهم الواعظة قالُوا مَعْذِرَةً إِلى رَبِّكُمْ- ولعلهم- يعني ولكي ينتهوا فيؤخروا أَوْ يعذبوا فينجوا وَلَعَلَّهُمْ يعني ولكي يَتَّقُونَ المعاصي، فلما نسوا، يعني: فَلَمَّا تركوا ما وعظوا به من أمر الحيتان أَنْجَيْنَا من العذاب الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ يعني

المعاصي وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا يعني وأصبنا الَّذِين ظلموا بِعَذابٍ يعني المسخ بَئِيسٍ يعنى شديد بِما كانُوا يَفْسُقُونَ"[1].

المطلب الثاني: استعمال(هلك) في الحث على النظر في مظاهر قدرة الله تعالي.

- **وذلك:- {قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ} [القصص: ٧٨]**
- **قوله تعالي{ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ (٦)} [الأنعام: ٦]**
- **قوله تعالي: {وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ} [ق: ٣٦]**

وقد تناولت هذه الآيات الثلاث الكريمات استعمال مادة هلك في الحث على النظر في مظاهر قدرة الله تعالي في إجراء قانون الإهلاك على مكذبي الرسل.

قال ابن جرير: "يقول تعالي ذكره لنبيه محمد -صلي الله عليه وسلم-: ألم ير هؤلاء المكذبون بأياتي الجاحدون نبوتك، كثرة من أهلكت من

---

[1] تفسير مقاتل بن سليمان أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت: ١٥٠هـ) (٢/ ٧٠)
تحقيق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٣ هـ

قبلهم من القرون، وهم الأمم الذين وطأت لهم البلاد والأرض وطاءة لم أوطئوها لكم وأعطيتهم فيها مالم أعطكم[١].

المطلب الثالث: التحذير من خطر التكذيب بالله تعالي:-

- قوله تعالي:-{ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ} [الأنفال: ٥٤]
- قوله تعالي{ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ (٤٧) فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ} [المؤمنون: ٤٧، ٤٨]
- قوله تعالي {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ} [الجاثية: ٢٤]
- {وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٧) فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ} [الزخرف: ٧، ٨]

ونلاحظ في هذه الآيات الأربع أنها جاءت كلها لتحذير الأمم من خطر تكذيب أنبيائهم لأنه يؤدي إلى إيقاع الهلاك والضمار عليهم.

قال البيضاوي: "فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون تأكيد لما نيط به من الدلالة على كفران النعم وبيان ما أخذ به آل فرعون"[٢].

المطلب الرابع:- العبرة والموعظة.

- قوله تعالي:- {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [القصص: ٤٣]
- قوله تعالي:- {أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى} [طه: ١٢٨]

---

[١] جامع البيان (١٩٩/٧)

[٢] تفسير البيضاوي (٦٤/٣)

- قوله تعالي:- { وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الأحقاف: ٢٧]
- قوله تعالي:- {قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ } [الأعراف: ١٢٩]

وهنا نرى أن الإهلاك استعمل لسوق العبرة والموعظة، فنجد في الآيات الحث على العبرة وأخذ الموعظة من الأمم السابقة في إجراء قانون الإهلاك على المكذبين.

فنجد الآية الأولي: تحض على أن يتبصر الناس ويعتبروا

والأخيرة: تدعوا إلى النظر في إهلاك من سبقهم من الأمم

يقول الرازي: "أعلم أن فرعون كانت عادته متى ظهرت حجة موسى أن يتعلق في دفع تلك الحجة بشبهة يروجها على أغمار قومه، وذكر ههنا شبهتين الأولى: ما علمت لكم من إله غيري... والثاني: إثبات إلهية نفسه، وكل هذا لا يسلم له"[١].

المبحث الثاني: استعمال مادة(هلك) في تعيين وقت وقوع الهلاك، وتنوعه، ودفعه، وعدم نفع الندم بعده.

المطلب الأول: في تعيين وقت وقوع الهلاك

- قوله تعالي:- {وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ} [الحجر: ٤]
- قوله تعالي:- {وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا } [الكهف: ٥٩]

[١] التفسير الكبير(٢٥٣/٢٤)

• قوله تعالي:- { فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا } [الأحقاف: ٣٥]

هذه الآيات الثلاث المستعملة في إيراد الإهلاك على أن وقوعه مقدر في وقته.

قال السمعاني في الآية الأولي: "أي: أجل مَضْرُوب لَا يتَقَدَّم عَلَيْهِ وَلَا يتَأَخَّر عَنهُ"[١].

المطلب الثاني:- تنوع أصناف الهلاك وذلك في قوله تعالي:-

• { فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ (٥) وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ} [الحاقة:٥- ٨]

تناولت آيات سورة الحاقة تنوع أصناف الهلاك كما قدمتها هذه الآية.

قال ابن جرير: "إن الله أخبر عن ثمود بالمعنى الذي أهلكها به كما أخبر عن عاد بالذي أهلكها به".[٢]

المطلب الثالث: دفع الهلاك من الله وحده وذلك في قوله تعالي:-

• قوله تعالى: { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} [الملك: ٢٨]

---

[١] تفسير القرآن للسمعاني محمد بن عبد الجبار (٣/ ١٣٠) دار الوطن، الرياض – السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م

[٢] جامع البيان (٦١/٢٩)

- **قوله تعالي:- {وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ} [محمد: ١٣]**

تحدثت الآية الأولي: عن سؤال تهكمي أن الهلاك إذا نزل فمن يجير الكافرين منه ، والثانية: أن أشد القرى التي أهلكت لم يقف من ينصرها لأنه لا ناصر إلا الله.

وقال الزمخشري: "وأراد بالقرية أهلها، ولذلك قال أَهْلَكْناهُمْ كأنه قال: وكم من قوم هم أشد قوّة من قومك الذين أخرجوك أهلكناهم. ومعنى أخرجوك: كانوا سبب خروجك. فإن قلت: كيف قال فَلا ناصِرَ لَهُمْ؟ وإنما هو أمر قد مضى. قلت: مجراه مجرى الحال المحكية، كأنه قال أهلكناهم فهم لا ينصرون"[١].

المطلب الرابع: عدم نفع الندم، والحسرة.

- **قوله تعالي:- { وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى} [طه: ١٣٤]**
- **قوله تعالي:- {وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ} [الأنبياء: ٩٥].**

وضح سياق الإهلاك هنا على أنه إذا حل بقوم لا ينفعهم الندم على دفعه. قال ابن كثير:" وحرام على قرية أهلكناها قال: وجب أنهم لا يرجعون أي: لا يتوبون...وقيل: في الكلام إضمار أي: وحرام على قرية حكمنا باستئصالها أو بالختم على قلوبها أن يتقبل منهم عمل لأنهم لا يرجعون أي: لا يتوبون"[٢].

---

[١] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٣٢٠)

[٢] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي(٢٢٥/١١)

المبحث الثالث: استعمال (هلك) على بعض تصرفات العباد.

تمهيد:

تضمن هذا المبحث جملة خمسة متفرقة عن استعمال هلك للتعبير عن بعض تصرفات العباد كما سنراه في المطالب التالية:-

المطلب الأول: الفساد، وذلك قوله تعالي:-

- **{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ} [البقرة: ٢٠٤ – ٢٠٦]**
- **قوله تعالي:- {أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا}(١٥٥)**
- **قوله تعالي:- {أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ} [الأعراف: ١٧٣]**
- **قوله تعالي:- {وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا} [الإسراء: ١٦]**

نرى الآيات الكريمة في هذا المطلب تتحدث عن أصناف من الناس همها الفساد والإفساد في الأرض وقد جاءت الآيات الأربع مشيرة إلى هذا، فالآية الأولى تشير إلى أن هذا النوع يسعي في الأرض ليفسد فيها وفي هذا البحث شرح لهذا الموقف.

في الآية الأخيرة أن هلاك الأمم على يد فساقها ومفسدوها من المترفين.

وقال ابن الجوزي: "سلَّطنا مترفيها بالإمارة".[١]

---

[١] زاد المسير في علم التفسير (٣/ ١٦) دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ

المطلب الثاني: الظلم وذلك في ظلم الإنسان لنفسه.

- **قوله تعالي:- { قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ } [الأنعام: ٤٧]**
- **قوله تعالي:- { وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ} [يونس: ١٣]**
- **{ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ} [الحج: ٤٥]**

وهذه الآيات الثلاث تناولت لونا آخر من ألوان تعدد وقوع الإهلاك بسبب الظلم. كما تفيده نصوص هذه الآيات.

قال ابن جرير:" يقول تعالي ذكره وكم يا محمد من قرية أهلكت أهلها وهم ظالمون... فباد أهلها، وخلت، وخوت من سكناها، فخربت وتداعت وتساقطت على عروشها يعني: على بنائها وسقوفها[١]

ولكن الله عز وجل لا يظلم أحدا وذلك في قوله تعالي:-

- **{ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ} [الأنعام: ١٣١]**
- **{وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ } [هود: ١١٧]**
- **{وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ } [القصص: ٥٩]**
- **ولكن مادة هلك تفيد أن الظلم لا يقع إلا من الناس وحدهم وأن الله لا يظلم أحدا قال جلا شأنه{وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ } [القصص: ٥٩]**

---

[١] جامع البيان للطبري(٢٣٦/١٧)

- المطلب الثالث: الذنوب وذلك في قوله تعالي:-
- { فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ } [الأنعام: ٦]
- قوله تعالي:- {كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ} [الأنفال: ٥٤]
- قوله تعالي:- { وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا} [الإسراء: ١٧]

هذا لون آخر من سبب الإهلاك كما توضحه هذه الآيات الثلاث وهي أن الذنوب من آفات العباد التي يساق بسببها إهلاكهم.

يقول الطبري:" يقول الله تعالى ذكره: وقد أهلكنا أيها القوم من قبلكم من بعد نوح إلى زمانكم قرونا كثيرة كانوا من جحود آيات الله والكفر به، وتكذيب رسله، على مثل الذي أنتم عليه، ولستم بأكرم على الله تعالى منهم، لأنه لا مناسبة بين أحد وبين الله جلّ ثناؤه، فيعذّب قوما بما لا يعذّب به آخرين، أو يعفو عن ذنوب ناس فيعاقب عليها آخرين[١]

المطلب الرابع: بطر النعمة وذلك في قوله تعالي:-

- {وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا} [مريم: ٧٤]
- قوله تعالي:- {وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ} [القصص: ٥٨]
- قوله تعالي:- {قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ} [القصص: ٧٨]

[١] المرجع السابق(٧٥/١٥)

وبطر النعمة سبب من الأسباب التي سيق إليها إهلاك الأمم والأفراد أما الأمم فهو ما عبرت عنه آية مريم وآية القصص وأما الأفراد فهو ما وقع بشأن قارون.

- المطلب الخامس: النفقة وذلك في قوله تعالي:
- {وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} [البقرة: ١٩٥]

قوله تعالي:- {لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} [التوبة: ٤٢]

وضحت الآيتين الكريمتين أن مادة هلك تستعمل ويراد بها سببها وهو عدم الانفاق في سبيل الله.

فالآية الأولي: حذرت من عدم الانفاق في سبيل الله؛ لأنه يوقع في التهلكة.

والآية الثانية: تفيد مادة الإهلاك أنها تدفع بالمعرضين عن الانفاق إلى إهلاك النفس

قال القرطبي: روى البخاري عن حذيفة:" وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة" قال: نزلت في النفقة

وقال "وأنفقوا في سبيل الله" يعني تصدقوا يا أهل الميسرة في سبيل الله، يعني في طاعة الله." ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة" يعني ولا تمسكوا بأيديكم عن الصدقة فتهلكوا، وهكذا قال مقاتل.

ومعنى ابن عباس: ولا تمسكوا عن الصدقة فتهلكوا، أي لا تمسكوا عن النفقة على الضعفاء، فإنهم إذا تخلفوا عنكم غلبكم العدو فتهلكوا.[١]

[١] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/٢٤١)

وهكذا طاف بنا هذا الفصل الثاني حول استعمالات مادة هلك وأنها تأتي في هذا الاستعمالات على ثلاثة عشر موضعا من موضوعات استعمالات هذه المادة كما وضحناها والله أعلم.

الفصل الثالث: أساليب القرآن الكريم وبلاغته في عرض آيات الهلاك

تمهيد:

تكاد تتفق كلمة أهل الاختصاص على تقسيم أساليب الكلام في لغة العرب إلى قسمين رئيسين هما: الخبر، والإنشاء.

قال السيوطي في الاتقان:

"اعلم أن الحذاق من النحاة وغيرهم، وأهل البيان قاطبةً على انحصار الكلام فيهما، وانه ليس له قسمٌ ثالث"[١].

وكأن السيوطي يريد أن يرد جميع التقسيمات الأخرى للأساليب إلى هذين القسمين لا أن ينفيها.. لأن الكلام عن هذه التقسيمات كثيرة ليس هنا مجال الحديث عنها.

وغني عن القول أن القرآن -كما هو معروف- جاء على أحكم ما يكون من أساليب العرب وأفانين طرقهم البيانية والبلاغية، بل فاقهم في ذلك كثيراً، وإن لم يخرج عن هذه القوانين، فقد راعي القرآن الكريم أساليب التخاطب اللغوية فأحكمها، أيما إحكام، وأجادها على أحسن ما يكون النظام الأدبي والفني في كافة أساليبه الخبرية أو الإنشائية.

[١] الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ص٤٢١

وأبدع أيما إبداع في عرض قانون الإهلاك الذي كتبه الله عز وجل على سائر مكونات الخلق من أراضين وسماوات، وجبال وأفلاك.. ولم يستثن من ذلك إنس ولا جان.

وجاء هذا الإبداع الفني الباهر في أروع صوره البيانية والبديعية.

وما سنعرضه الآن عن أساليب القرآن وصور إعجازه في البيان والبديع في مادة (الإهلاك) لا يعدو أن يكون جزءاً صغيراً من كتاب {أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} [هود: ١]

بحيث لا نزيد عن عرض المادة العلمية التي بين أيدينا، ونشير إلى مدي دقة أسلوبها ومطابقتها للمخاطبين خبراً أو إنشاء، وإلى جمال الصورة البيانية من بديع وبيان كما لا حظها المفسرون والبلغاء وذلك يقتضي منا أن نسوق الحديث عنه في مبحثين على النحو التالي فيما يلي:

المبحث الأول: أساليب القرآن الكريم في عرض مادة (هلك).

المطلب الأول: الأساليب الخبرية.

قال أبو الحسن البصري: "الخبر كلام يفيد بنفسه".

وقيل: القول المقتضي بصريحه نسبة معلومٍ إلى معلوم بالنفي أو الإثبات والمشهور في تعريفه: أنه الكلام الذي يحتمل الصدق والكذب.

وأورد عليه: خبر الله تعالى فإنه لا يكون إلا صادقا[١].

ومن تأملنا للمادة التي جمعناها من سياق الآيات الكريمة يتضح لنا أن غالب الأساليب المستعملة للمادة إنما جاءت بطريق الإخبار المباشر للمخاطبين.

وهو في قوانين الأدب العربي أسلوب مباشر قاطع لأداء المعلومة.

[١] الإتقان للسيوطي ص٤٢١

فأينما وجهت شطرك نحو إيراد حقيقة ما عن "الإهلاك".. رأيت الأسلوب الخبري هو الأسلوب المنوط به أداء المعلومة، سواء عن:

(١) الإخبار عن قانون الله تعالي في إهلاك الأمم:

ونري نموذجاً رائعا لعرض هذا الأسلوب الخبري في الآيات الكريمة التالية:

- **{ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا} [يونس: ١٣]**

يقول الزمخشري: والمعنى: أن السبب في إهلاكهم تكذيب الرسل، وعلم الله أنه لا فائدة في إمهالهم بعد أن ألزموا الحجة ببعثه الرسل كَذلِكَ مثل ذلك الجزاء يعنى الإهلاك نَجْزِي كل مجرم، وهو وعيد لأهل مكة على إجرامهم

بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم.[١]

- **{وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}[الأحقاف: ٢٧]**

أي: ما حَوْلَكُمْ يا أهل مكة مِنَ الْقُرى من نحو حجر ثمود وقرية سدوم وغيرهما. والمراد: أهل القرى. ولذلك قال لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ[٢].

- **{وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ} [القمر: ٥١]**

"أَشْياعَكُمْ: أشباهكم في الكفر من الأمم"[٣]

---

[١] تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ) (٢/ ٣٣٣) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ.

[٢] المصدر السابق(٤/ ٣١٠)

٣ الكشاف (٤/ ٤٤١)

قال ابن عطية: "والأشياع: الفرق المتشابهة في مذهب وديـــن، ونحـــوه الأول شيعة للآخر، الآخر شيعة للأول. ثم أخبر تعالى أن كل أفعال الأمم المهلكة مكتوب محفوظ عليهم إلى يوم الحساب، قاله ابن عباس وقتـــادة والضحاك وابن زيد"[1].

- **{فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ} [الأنعام: ٦]**

قال الزمخشري: والمعنى: لم نعط أهل مكة نحو ما أعطينا عاداً وثمـــود وغيرهم، من البسطة في الأجسام، والسعة فـــي الأمـــوال والاســـتظهار بأسباب الدنيا. والسماء المظلة، لأن الماء ينزل منها إلى الســـحاب، أو السحاب أو المطر. والمدرار: المغزار. فإن قلت: أى فائدة في ذكر إنشاء قرن آخرين بعدهم؟ قلت: الدلالة على أنه لا يتعاظمـــه أن يهلـــك قرنـــا ويخرب بلاده منهم؟ فإنه قادر على أن ينشئ مكانهم آخرين يعمر بهـــم بلاده"[2].

وقال ابن عطية "وقوله تعالى: فَأَهْلَكْنـــاهُمْ معنـــاه: فعصـــوا وكفـــروا فَأَهْلَكْناهُمْ، وَأَنْشَأْنا اخترعنا وخلقنا، وجمع آخَرِينَ حمـــلا علـــى معنـــى القرن.[3]

- **{وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا} [الكهف: ٥٩]**

---

١ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ) (٥/ ٢٢١) تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ ه

٢- الكشاف (٢/ ٦)

٣ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ٢٦٩)

والمعنى: وتلك أصحاب القرى أهلكناهم لَمَّا ظَلَمُوا مثل ظلم أهل مكة وَجَعَلْنا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً وضربنا لإهلاكهم وقتا معلوما لا يتأخرون عنه كما ضربنا لأهل مكة يوم بدر. والمهلك:

الإهلاك ووقته. وقرئ لِمَهْلِكِهِمْ بفتح الميم، واللام مفتوحة أو مكسورة، أى: لهلاكهم أو وقت هلاكهم. والموعد: وقت، أو مصدر.[1]

وفي قوله: وَتِلْكَ الْقُرى حذف مضاف تقديره وَتِلْكَ أهل الْقُرى يدل على ذلك قوله أَهْلَكْناهُمْ فرد الضمير على أهل القرى، والْقُرى: المدن، وهذه الإشارة إلى عاد وثمود ومدين وغيرهم. وَتِلْكَ ابتداء، والْقُرى صفته، وأَهْلَكْناهُمْ خبر، ويصح أن يكون تِلْكَ منصوبا بفعل يدل عليه أَهْلَكْناهُمْ.

وقرأ الجمهور «لمهلكهم» بضم الميم وفتح اللام، من أهلك، ومفعل في مثل هذا يكون لزمن الشيء، ولمكانه، ويكون مصدرا فالمصدر على هذا مضاف إلى المفعول، وقرأ عاصمٍ في رواية أبي بكر «لمهلكهم» بفتح الميم واللام وقرأ في رواية حفص «لمهلكهم» بفتح الميم وكسر اللام، وهو مصدر من هلك، وهو في مشهور اللغة غير متعد، فالمصدر على هذا مضاف إلى الفاعل، لأنه بمعنى: وجعلنا لأن هلكوا موعدا".[2]

- **قوله تعالى: {فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ} [الحاقة: ٥]**

ولما كان الحديث عن زمن باد منذ قرون طويلة ناسبه استعمال الأسلوب الخبري بالأحداث التي مرت بها الأمم السابقة بطريقة حاسمة قاطعة تناسب صوره السامي وتتناسب مع أحوال السامعين.

---

[1] الكشاف (٢/ ٧٣٠)

٢ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٥٢٦)

قال الزمخشري: "تذكيرا لأهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم بِالطَّاغِيَةِ بالواقعة المجاوزة للحد في الشدة. واختلف فيها، فقيل: الرجفة. وعن ابن عباس: الصاعقة. وعن قتادة: بعث الله عليهم صيحة فأهمدتهم.

وقيل: الطاغية مصدر كالعافية، أي: بطغيانهم، وليس بذاك لعدم الطباق بينها وبين قوله بِرِيحٍ صَرْصَرٍ والصرصر: الشديدة الصوت لها".[1]

قال ابن عاشور: "ابْتُدِئَ بِذِكْرِ ثَمُودَ لِأَنَّ الْعَذَابَ الَّذِي أَصَابَهُمْ مِنْ قَبِيلِ الْقَرْعِ إِذْ أَصَابَتْهُمُ الصَّوَاعِقُ الْمُسَمَّاةُ فِي بَعْضِ الْآيَاتِ بِالصَّيْحَةِ. وَالطَّاغِيَةُ: الصَّاعِقَةُ فِي قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةَ: نَزَلَتْ عَلَيْهِمْ صَاعِقَةٌ أَوْ صَوَاعِقُ فَأَهْلَكَتْهُمْ، لِأَنَّ مَنَازِلَ ثَمُودَ كَانَتْ فِي طَرِيقِ أَهْلِ مَكَّةَ إِلَى الشَّامِ فِي رِحْلَتِهِمْ فَهُمْ يَرَوْنَهَا، قَالَ تَعَالَى: فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خاوِيَةً بِما ظَلَمُوا [النَّمْل: ٥٢] ، وَلِأَنَّ الْكَلَامَ عَلَى مَهْلِكِ عَادٍ أَنْسَبُ فَأُخِّرَ لِذَلِكَ أَيْضًا.

وَإِنَّمَا سُمِّيَتِ الصَّاعِقَةُ أَوِ الصَّيْحَةُ بِالطَّاغِيَةِ لِأَنَّهَا كَانَتْ مُتَجَاوِزَةً الْحَالَ الْمُتَعَارَفَ فِي الشِّدَّةِ فَشُبِّهَ فِعْلُهَا بِفِعْلِ الطَّاغِي الْمُتَجَاوِزِ الْحَدَّ فِي الْعُدْوَانِ وَالْبَطْشِ.

وَالْبَاءُ فِي قَوْلِ بِالطَّاغِيَةِ لِلْاسْتِعَانَةِ.

وثَمُودُ: أُمَّةٌ مِنَ الْعَرَبِ الْبَائِدَةِ الْعَارِبَةِ، وَهُمْ أَنْسَابُ عَادٍ. وَثَمُودُ: اسْمُ جَدِّ تِلْكَ الْأُمَّةِ وَلَكِنْ غَلَبَ عَلَى الْأُمَّةِ فَلِذَلِكَ مُنِعَ مِنَ الصَّرْفِ لِلْعَلَمِيَّةِ وَالتَّأْنِيثِ بِاعْتِبَارِ الْأُمَّةِ أَوِ الْقَبِيلَةِ".[2]

---

[1] الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٥٩٨)

[2] التحرير والتنوير التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»

قال ابن عطية: "ذكر تعالى تكذيب «ثمود وعاد» بهذا الأمر الذي هو حق مشيرا إلى أن من كذب بذلك ينزل عليه مثل ما نزل بأولئك"[١]

(٢) الإخبار عن قانون الله في إهلاك الأفراد.

- **قال تعالي: { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} [سورة الملك ٢٨]**

قال الزمخشري: "كان كفار مكة يدعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك، فأمر بأن يقول لهم: نحن مؤمنون متربصون لإحدى الحسنيين: إما أن نهلك كما تتمنون فننقلب إلى الجنة، أو نرحم بالنصرة والإدالة للإسلام كما نرجو، فأنتم ما تصنعون؟ من يجيركم- وأنتم كافرون- من عذاب النار؟ لا بدّ لكم منه، يعني: إنكم تطلبون لنا الهلاك الذي هو استعجال للفوز والسعادة، وأنتم في أمر هو الهلاك الذي لإهلاك بعده، وأنتم غافلون لا تطلبون الخلاص منه. أو إن أهلكنا الله بالموت فمن يجيركم بعد موت هداتكم، والآخذين بحجزكم من النار، وإن رحمنا بالإمهال والغلبة عليكم وقتلكم فمن يجيركم، فإنّ المقتول على أيدينا هالك. أو إن أهلكنا الله في الآخرة بذنوبنا ونحن مسلمون، فمن يجير الكافرين وهم أولى بالهلاك لكفرهم، وإن رحمنا بالإيمان فمن يجير من لا إيمان له"[٢].

المؤلف : محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ) (٢٩/ ١١٦)

الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ

١ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/ ٣٥٦)

٢ انظر: تفسير الزمخشري (٤/ ٥٨٣)

قال الألوسي: "قُلْ أَرَأَيْتُمْ أي أروني كما هو المشهور وقد مر تحقيقه إِنْ أَهْلَكَنِيَ اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أي من المؤمنين أَوْ رَحِمَنا أي بالنصرة عليكم فَمَنْ يُجِيرُ الْكافِرِينَ مِنْ عَذابٍ أَلِيمٍ أي فمن يجيركم من عذاب النار، وأقيم الظاهر مقام المضمر المخاطب دلالة على أن موجب البوار محقق فأنّى لهم الإجارة والظاهر أن جواب الشرط والمعطوف عليه شيء واحد وحاصل المعنى لا مجير لكم من عذاب النار لكفركم الموجب له انقلبنا إلى رحمة الله تعالى بالهلاك كما تمنون لأن فيه الفوز بنعيم الآخرة أو بالنصرة عليكم، والأدلة للإسلام كما نرجو لأن في ذلك الظفر بالبغيتين ويتضمن ذلك حثهم على طلب الخلاص بالإيمان وأن فيما هم فيه شغلا شاغلا عن تمني هلاك النبي عليه الصلاة والسلام ومن معه من المؤمنين، وهذا أوجه الوجوه الثلاثة التي ذكرها الزمخشري. ثانيها أن المعنى أن أهلكنا الله تعالى بالموت ونحن هداتكم والآخذون بحجزكم فمن يجيركم من النار وإن رحمنا بالغلبة عليكم وقتلكم عكس ما تمنون فمن يجيركم لأن المقتول على أيدينا هالك في الدنيا والآخرة، وعلى هذا الجواب متعدد لتعدد موجبه، ورجح الأول بأن فيه تسفيها لرأيهم لطلبهم ما هو سعادة أعدائهم ثم الحث على ما هو أحرى وهو الخلاص مما هم فيه من موجب الهلاك وهذا فيه الأول من حيث إنهم لم يتمنون هلاك من يجيرهم من عذاب بإرشاده والسياق ادعى للأول وثالثها أن المعنى إن أهلكنا الله تعالى في الآخرة بذنوبنا ونحن مسلمون فمن يجير الكافرين وهم أولى بالهلاك لكفرهم وإن رحمنا بالإيمان فمن يجير من لا إيمان له وعلى هذا الجواب متعدد أيضا، والهلاك فيه محمول على المجاز دون الحقيقة كما في سابقه، والغرض الجزم بأنهم لا مجير لهم وأن حالهم إذا ترددت بين الهلاك بالذنب والرحمة بالإيمان وهم مؤمنون فماذا يكون

حال من لا إيمان له وهذا فيه بعد قُلْ أي لهم جوابا عن تمنيهم ما لا يجديهم بل يرديهم معرضا بسوء ما هم عليه".[١]

وقال ابن عاشور: "هذا تكرير ثان لفعل قل هو الذي أنشأكم".

كان من بذاءة المشركين أن يجهروا بتمني هلاك رسول الله صلى الله عليه وسلم وهلاك من معه من المسلمين، وقد حكى القرآن عنهم أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون [الطور: ٣٠] وحكي عن بعضهم ويتربص بكم الدوائر [التوبة: ٩٨] ، وكانوا يتآمرون على قتله، قال تعالى: وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك [الأنفال: ٣٠] ، فأمره الله بأن يعرفهم حقيقة تدحض أمانيهم، وهي أن موت أحد أو حياته لا يغني عن غيره ما جره إليه عمله، وقد جرت إليهم أعمالهم غضب الله ووعيده فهو نائلهم حيي الرسول صلى الله عليه وسلم أو بادره المنون. التحرير والتنوير (٢٩/ ٥٢)

فقد يكون نزول هذه الآية صادف مقالة من مقالاتهم هذه فنزلت الآية في أثنائها وقد يكون نزولها لمناسبة حكاية قولهم: متى هذا الوعد [الملك: ٢٥] بأن قارنه كلام بذيء مثل أن يقولوا: أبعد هلاكك يأتي الوعد.

والإهلاك: الإماتة، ومقابلة أهلكني ب رحمنا يدل على أن المراد: أو رحمنا بالحياة، فيفيد أن الحياة رحمة، وأن تأخير الأجل من النعم، وإنما لم يؤخر الله أجل نبيئه صلى الله عليه وسلم مع أنه أشرف الرسل لحكم أرادها كما دل عليه

---

١ انظر: روح المعاني (١٥/ ٢٤)

وإنما سمى الحياة رحمة له ولمن معه، لأن في حياته نعمة له وللنـــاس ما دام الله مقدرا حياته، وحياة المؤمن رحمة لأنه تكثر له فيهـــا بركـــة الإيمان والأعمال الصالحة.

والاستفهام في أرأيتم إنكاري أنكر اندفاعهم إلـــى أمنيـــات ورغائـــب لا يجتنون منها نفعا ولكنها مما تمليه عليهم النفوس الخبيثة مـــن الحقـــد والحسد.

والرؤية علمية، وفعلها معلق عن العمل فلذلك لم يرد بعده مفعولاه، وهو معلق بالاستفهام الذي في جملة جواب الشرط، فتقدير الكـــلام: أرأيـــتم أنفسكم ناجين من عذاب أليم إن هلكت وهلك من معي، فهلاكنا لا يـــدفع عنكم العذاب المعد للكافرين."[1].

• قال تعالى: {وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِـكَ الْحَـرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ}[البقرة ٢٠٥]

"وهو الأخنس بن شريق كان رجلا حلو المنطق، إذا لقـــى رســـول اللَّـــه صلى اللَّه عليه وسلم ألان له القول وادعى أنه يحبه وأنه مسلم وقـــال: يعلم اللَّه أنى صادق.

وقيل: هو عامّ في المنافقين، كانت تحلو ألسنتهم، وقلوبهم أمـــرّ مـــن الصبر.

فإن قلت: بم يتعلق قوله فِي الْحَياةِ الدُّنْيا؟ قلت: بالقول، أي يعجبك مـــا يقوله في معنى الدنيا لأنّ ادّعاءه المحبة بالباطل يطلب بـــه حظـــا مـــن حظوظ الدنيا ولا يريد به الآخرة.

وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصامِ وهو شديد الجدال والعداوة للمسلمين.

---

[1] التحرير والتنوير (٢٩/ ٥١،٥٢)

وقيل: كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا وأهلك مواشيهم وأحرق زروعهم.

والخصام: المخاصمة. وإضافة الألدّ بمعنى في، كقولهم: ثبت الغدر. أو جعل الخصام ألدّ على المبالغة .

"وَإِذا تَوَلَّى أدبر وانصرف عنك.

وقيل: إذا غلب وصار والياً. سَعى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيها وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ كما فعله الأخنس بثقيف إذ بيتهم وأحرق زروعهم وأهلك مواشيهم، أو كما يفعله ولاة السوء بالقتل والإتلاف، أو بالظلم حتى يمنع الله بشؤمه القطر فيهلك الحرث والنسل. وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسادَ لا يرتضيه فاحذروا غضبه عليه" .

"وقرئ: ويهلك الحرث والنسل، على أن الفعل للحرث والنسل. والرفع للعطف على سعى. وقرأ الحسن بفتح اللام، وهي لغة. نحو: أبى يأبى. وروى عنه: ويهلك، على البناء للمفعول أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ من قولك: أخذته بكذا، إذا حملته عليه وألزمته إياه، أى حملته العزة التي فيه وحمية الجاهلية على الإثم الذي ينهى عنه، وألزمته ارتكابه، وأن لا يخلى عنه ضرارا ولجاجا. أو على ردّ قول الواعظ". وهو الأخنس بن شريق كان رجلا حلو المنطق، إذا لقى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ألان له القول وادعى أنه يحبه وأنه مسلم وقال: يعلم اللَّه أنى صادق.

وقيل: هو عامّ في المنافقين، كانت تحلو ألسنتهم، وقلوبهم أمرّ من الصبر.

فإن قلت: بم يتعلق قوله فِي الْحَياةِ الدُّنْيا؟ قلت: بالقول، أى يعجبك ما يقوله في معنى الدنيا لأنّ ادّعاءه المحبة بالباطل يطلب به حظا من حظوظ الدنيا ولا يريد به الآخرة.

وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصامِ وهو شديد الجدال والعداوة للمسلمين.

وقيل: كان بينه وبين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا وأهلك مواشيهم وأحرق زروعهم.

والخصام: المخاصمة. وإضافة الألدّ بمعنى في، كقولهم: ثبت الغدر. أو جعل الخصام ألدّ على المبالغة[1].

"وَإِذا تَوَلَّى أدبر وانصرف عنك.

وقيل: إذا غلب وصار والياً. سَعى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيها وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ كما فعله الأخنس بثقيف إذ بيتهم وأحرق زروعهم وأهلك مواشيهم، أو كما يفعله ولاة السوء بالقتل والإتلاف، أو بالظلم حتى يمنع الله بشؤمه القطر فيهلك الحرث والنسل. وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسادَ لا يرتضيه فاحذروا غضبه عليه"[2].

"وقرئ: ويهلك الحرث والنسل، على أن الفعل للحرث والنسل. والرفع للعطف على سعى. وقرأ الحسن بفتح اللام، وهي لغة. نحو: أبى يأبى. وروى عنه: ويهلك، على البناء للمفعول أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ من قولك: أخذته بكذا، إذا حملته عليه وألزمته إياه، أي حملته العزة التي فيه وحمية الجاهلية على الإثم الذي ينهى عنه، وألزمته ارتكابه، وأن لا يخلى عنه ضرارا ولجاجا. أو على ردّ قول الواعظ".[3]

- قال تعالي: {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ}[الجاثية: ٢٤]

---

[1] تفسير الزمخشري (١/ ٢٥٠)

[2] تفسير البيضاوي (١/ ١٣٣)

[3] تفسير الزمخشري (١/ ٢٥١)

"نَمُوتُ وَنَحْيا نموت نحن ويحيا أولادنا. أو يموت بعض ويحيا بعض. أو نكون مواتا نطفا في الأصلاب، ونحيا بعد ذلك. أو يصيبنا الأمران: الموت والحياة، يريدون: الحياة في الدنيا والموت بعدها، وليس وراء ذلك حياة. وقرئ: نحيا، بضم النون. وقرئ: إلا دهر يمرّ، وما يقولون ذلك عن علم، ولكن عن ظنّ وتخمين: كانوا يزعمون أنّ مرور الأيام والليالي هو المؤثر في هلاك الأنفس، وينكرون ملك الموت وقبضه الأرواح بأمر الله، وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث إلى الدهر والزمان، وترى أشعارهم ناطقة بشكوى الزمان".[١]

وقال الألوسي: " وَما يُهْلِكُنا إِلَّا الدَّهْرُ أي طول الزمان فالدهر أخص من الزمان وهو الذي ارتضاه السعد، ولهم في ذلك كلام طويل"[٢]

وهكذا نري أن الأسلوب الخبري في مادة" هلك" خاصة وفي عرف القرآن الكريم عامة وارد على سبيل الجزم والقطع وليس على سبيل احتمال الصدق والكذب، فمصدر الخبر هو الله عز وجل العليم الخبير بالأزمنة والأمكنة، والمنبئء عن مشاهد أحداث الكون كله، وربما غابت كثير من الحوادث عن علم الناس أجمعين، فأخبرنا بها من لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم عليم.

المطلب الثاني: الأساليب الإنشائية.

الأساليب الإنشائية من الأساليب الهامة في الحوار والمناظرات، والمناقشات، ولذلك فإن أسلوب الإنشاء أسلوب طلبي لا إخباري، وقد رأينا في أسلوب الخبر أن غايته سوق الخبر بغير مناقشة ولا جدال. أما

---

[١] الكشاف (٤/ ٢٩١)

[٢] روح المعاني (١٣/ ١٥١)

الأسلوب الإنشائي فهو طلبي يعتمد على كل موقف يحتاج إلى الطلب والاستدعاء، كالاستفهام، والتمني، والترجي، والدعاء، والرجاء، وقد تأتي هذه الأساليب على حقائقها المستعملة في لغة العرب. وقد تخرج عن هذه المعاني الحقيقية إلى معان أخرى مجازية يقصدها البليغ لتحقيق غرض معين يعينه عليه المجاز الذي قصده.

وقد وردت مادة (هلك) في صور إنشائية متعددة، فجاءت على نحو ما جاءت الصور الإنشائية في القرآن الكريم كله. فليس لهذه المادة خروج عن أساليب الإنشاء كما وردت في الذكر الحكيم غير أننا مع النظر والتأمل في الأساليب الإنشائية لمادة (هلك) نجدها متحققة في صور الأساليب التالية:-

الآية الأولي: أسلوب الاستفهام.

- قوله تعالي:-:{ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا } [الإسراء: ١٧]

"ضرب مثالاً لإهلاك القرى الذي وصف سببه وكيفيته في الآية السابقة، فعقب ذلك بتمثيله لأنه أشد في الكشف وأدخل في التحذير المقصود. وفي ذلك تحقيق لكون حلول العذاب بالقرى مقدما بإرسال الرسول إلى أهل القرية، ثم بتوجيه الأوامر إلى المترفين ثم فسقهم عنها وكان زعماء الكفرة من قوم نوح مترفين وهم الذين قالوا: { وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ} [هود: ٢٧].

فكان مقتضى الظاهر عطف هذه الجملة بالفاء لأنها كالفرع على الجملة قبلها ولكنها عطفت بالواو إظهارا لاستقلالها بوقع التحذير من جهة أخرى فكان ذلك تخريجا على خلاف مقتضى الظاهر لهذا الاعتبار المناسب.

و(كم) في الأصل استفهام عن العدد، وتستعمل خبرية دالة على عدد كثير مبهم النوع، فلذلك تحتاج إلى تمييز لنوع العدد، وهي هنا خبرية في محل نصب بالفعل الواقع بعدها لأنها التزم تقديمها على الفعل نظرا لكون أصلها الاستفهام وله صدر الكلام. ومن القرون تمييز للإبهام الذي اقتضته (كم) .

والقرون جمع قرن، وهو في الأصل المدة الطويلة من الزمن فقد يقدر بمائة سنة وبأربعين سنة، ويطلق على الناس الذين يكونون في تلك المدة كما هنا"[١].

أسلوب النهي

- قوله تعالي:- {وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ}[٢]

"الباء في بِأَيْدِيكُمْ مزيدة مثلها في أعطى بيده للمنقاد. والمعنى: ولا تقبضوا التهلكة أيديكم، أى لا تجعلوها آخذة بأيديكم مالكة لكم. وقيل (بأيديكم) بأنفسكم: وقيل تقديره: ولا تلقوا أنفسكم بأيديكم، كما يقال: أهلك فلان نفسه بيده، إذا تسبب لهلاكها.

والمعنى: النهى عن ترك الإنفاق في سبيل اللَّه لأنه سبب الهلاك، أو عن الإسراف في النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع عياله. أو عن الاستقتال والإخطار بالنفس، أو عن ترك الغزو الذي هو تقوية للعدوّ. وروى أن رجلا من المهاجرين حمل على صف العدوّ فصاح به الناس: ألقى بيده إلى التهلكة. فقال أبو أيوب الأنصاري: نحن أعلم بهذه الآية، وإنما

---

[١] تفسير التحرير والتنوير (٩/ ١٧٠)

[٢] [البقرة: ١٩٥]

أنزلت فينا، صحبنا رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم فنصرناه، وشهدنا معه المشاهد، وآثرناه على أهالينا وأموالنا وأولادنا، فلما فشا الإسلام وكثر أهله ووضعت الحرب أوزارها، رجعنا إلى أهالينا وأولادنا وأموالنا نصلحها ونقيم فيها، فكانت التهلكة الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد «١» .

وحكى أبو على في الحلبيات عن أبى عبيدة، التهلكة والهلاك والهلك واحد. قال: فدلّ هذا من قول أبى عبيدة على أن التهلكة مصدر. ومثله ما حكاه سيبويه من قولهم التضرة والتسرة ونحوها في الأعيان: التنضبة والتنفلة. ويجوز أن يقال أصلها التهلكة كالتجربة والتبصرة ونحوهما، على أنها مصدر من هلك فأبدلت من الكسرة ضمة، كما جاء الجوار في الجوار.[1]

• وقوله تعالي:- {ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ } [الأنعام: ١٣١]

"وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرى أي القرى المهلكة المدلول عليها بقوله سبحانه: فِي قَرْيَةٍ فاللام للعهد الذكري والقرية وإن كانت مفردة لكنها في سياق النفي فتساوي الجمع، وجوز أن تكون اللام للعهد الخارجي إشارة إلى مكة وما حولها. وتعقب ذلك بأنه غير ظاهر من السياق ووجه لما أخبر عن القرى الهالكة بتكذيب الرسل وأنهم لو آمنوا سلموا وغنموا انتقل إلى إنذار أهل مكة وما حولها مما وقع بالأمم والقرى السابقة"[2].

[1] تفسير الزمخشري (١/ ٢٣٨،٢٣٧)

[2] تفسير الألوسي (٥/ ١١)

محمول على الإهلاك بعذاب الاستئصال في الدنيا على تكذيب الرسل وأما جزاء الكفر فالنار في العقبى[١]

"ذلكَ إشارة إلى ما تقدم من بعثة الرسل إليهم وإنذارهم سوء العاقبة، وهو خبر مبتدأ محذوف: أي الأمر ذلك. وأَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرى تعليل، أي الأمر ما قصصناه عليك لانتفاء كون ربك مهلك القرى بظلم، على أن «أن» هي التي تنصب الأفعال. ويجوز أن تكون مخففة من الثقيلة، على معنى: لأن الشأن والحديث لم يكن ربك مهلك القرى بظلم. ولك أن تجعله بدلا من ذلك".[٢]

- قوله تعالي: – { أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ } [الأعراف: ١٧٣]

والاستفهام في أفتهلكنا إنكاري، والإهلاك هنا مستعار للعذاب، والمبطلون الآخذون بالباطل، وهو في هذا المقام الإشراك."[٣]

- قوله تعالي: {وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ}[الجاثية: ٢٤]

"نَمُوتُ وَنَحْيا نموت نحن ويحيا أولادنا. أو يموت بعض ويحيا بعض. أو نكون مواتا نطفا في الأصلاب، ونحيا بعد ذلك. أو يصيبنا الأمران: الموت والحياة، يريدون: الحياة في الدنيا والموت بعدها، وليس وراء ذلك حياة. وقرئ: نحيا، بضم النون. وقرئ: إلا دهر يمرّ، وما يقولون ذلك عن علم، ولكن عن ظنّ وتخمين: كانوا يزعمون أنّ مرور الأيام

---

[١] تفسير الألوسي (٨/ ٤٠)

[٢] انظر: تفسير الزمخشري (٢/ ٦٧)

[٣] انظر: التحرير والتنوير (٩/ ١٧٠)

والليالي هو المؤثر في هلاك الأنفس، وينكرون ملك الموت وقبضه الأرواح بأمر الله، وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث إلى الدهر والزمان، وترى أشعارهم ناطقة بشكوى الزمان".[1]

المبحث الثاني: البلاغة القرآنية في عرض آيات الهلاك، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الصور البيانية في عرض آيات الهلاك.

لا تختلف الصور البيانية في هذه المادة عن نظيراتها في سائر آيات القرآن الكريم كما هو معلوم في جميع آياته على أعلى ما يكون من البيان والبلاغة، فلم تخرج مادة (هلك) بجميع مشتقاتها عن هذا المنظور كما سنراه فيما يلي من أقاويل المفسرين حول الآيات التالية كنموذج واضح للدلالة على ما في المادة من أساليب البيان:

- قوله تعالي:- { لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [المائدة: ١٤ – ١٧]

وأراد بعطف (مَنْ فِي الْأَرْضِ) على: (الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ) أنهما من جنسهم لا تفاوت بينهما[2] والمراد بالإهلاك الإماتة والإعدام مطلقا لا عن سخط وغضب، وإظهار المسيح على الوجه الذي نسبوا إليه الألوهية حيث ذكرت معه الصفة في مقام الإضمار لزيادة التقرير والتنصيص على أنه من تلك الحيثية بعينها داخل تحت قهره تعالى وملكوته سبحانه،

[1] الكشاف (٤/ ٢٩١)

[2] تفسير الزمخشري (١/ ٦١٧)

وقيل: وصفه بذلك للتنبيه على أنه حادث تعلقت به القدرة بلا شبهة لأنه تولد من أم.

وتخصيص الأم بالذكر مع اندراجها في عموم المعطوف لزيادة تأكيد عجز المسيح، ولعل نظمها في سلك من فرض إهلاكهم مع تحقق هلاكها قبل لتأكيد التبكيت وزيادة تقرير مضمون الكلام بجعل حالها أنموذجا لحال بقية من فرض إهلاكه.

وتعميم إرادة الإهلاك مع حصول الغرض بقصرها على عيسى عليه الصلاة والسلام لتهويل الخطب وإظهار كمال العجز ببيان أن الكل تحت قهره وملكوته تعالى لا يقدر على دفع ما أريد به فضلا عما أريد بغيره، وللإيذان بأن المسيح أسوة لسائر المخلوقات في كونه عرضة للهلاك كما أنه أسوة لهم في العجز وعدم استحقاق الألوهية.

قاله المولى أبو السعود: "وجَمِيعاً حال من المتعاطفات، وجوز أن يكون حالا من "مِنَ " فقط لعمومها[1]"

- وقوله تعالى: يَخْلُقُ ما يَشاءُ جملة مستأنفة مسوقة لبيان بعض أحكام الملك والألوهية على وجه يزيح ما اعتراهم من الشبه في أمر المسيح عليه السلام لولادته من غير أب وخلق الطير وإبراء الأكمه والأبرص. وإحياء الموتى"[2]

[1] تفسير الألوسي(٣/ ٢٧١،٢٧٠)

[2] تفسير الألوسي (٣/ ٢٧١)

والجملة مسوقة لبيان أن قدرته تعالى أوسع من عالم الوجود، وعلى كل تقدير فقوله سبحانه: وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ تذييل مقرر لمضمون ما قبله وإظهار الاسم الجليل لما مر من التعليل وتقوية استقلال الجملة"[1]

المطلب الثاني: الصور البديعية في عرض آيات الهلاك

من الصور البديعية التي وردت في مادة هلك كثيرة نكتفي منها على سبيل المثال بالآيات الكريمة التالية:

- قال تعالى:{ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ (٦) [الأنعام : ٦]

قال الزمخشري: "ولتقارب المعنيين جمع بينهما في قوله مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ ما لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ"

والمعنى: لم نعط أهل مكة نحو ما أعطينا عاداً وثمود وغيرهم، من البسطة في الأجسام، والسعة في الأموال والاستظهار بأسباب الدنيا. والسماء المظلة، لأن الماء ينزل منها إلى السحاب، أو السحاب أو المطر. والمدرار

"فإن قلت: أي فائدة في ذكر إنشاء قرن آخرين بعدهم؟ قلت: الدلالة على أنه لا يتعاظمه أن يهلك قرنا ويخرب بلاده منهم؟ فإنه قادر على أن ينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده، كقوله تعالى: وَلا يَخافُ عُقْباها"[2]

---

[1] المصدر السابق.

[2] انظر: تفسير الزمخشري (٢/ ٦).

• وقوله تعالى:"أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ [الأنعام: ٦] مع قوله سبحانه وتعالى: وَأَنْشَأْنا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ [الأنعام: ٦]

والأول يدل على أن الهالكين طوائف كثيرة.

والثاني يدل على أن المنشأ بعدهم أيضا كثيرون فيكون أمرهم بالسير دعاء لهم إلى العلم بذلك فيكون المراد به استقراء البلاد ومنازل أهل الفساد على كثرتها ليروا الآثار في ديار بعد ديار وهذا مما يحتاج إلى زمان ومدة طويلة تمنع من التعقيب الذي تقتضيه الفاء ولا كذلك في المواضع الأخرى ولا يخلو عن دغدغة.

واختار غير واحد أن السير متحد هناك وهنا ولكنه أمر ممتد يعطف النظر عليه بالفاء تارة نظرا إلى آخره، وتارة أخرى نظرا إلى أوله وكذا شأن كل ممتد قُلْ على سبيل التقريع لهم والتوبيخ لِمَنْ ما فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ من العقلاء وغيرهم أي لمن الكائنات جميعا خلقا وملكا وتصرفا"[١].

• قال تعالى:{ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ } [الأنعام: ٤٧]

قال الألوسي:"لما كانت البغتة أن يقع الأمر من غير أن يشعر به وتظهر أماراته، قيل بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً".

وعن الحسن: ليلا أو نهاراً وقرئ بغتة أو جهرة هَلْ يُهْلَكُ أى ما يهلك هلاك تعذيب وسخط إلا الظالمون. وقرئ. هل يهلك بفتح الياء"[٢].

---

[١] انظر: تفسير الألوسي (٤/ ٩٨)

[٢] انظر: تفسير الزمخشري (٢/ ٢٤)

"قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ تبكيت آخر لهم بإلجائهم إلى الاعتراف باختصاص العذاب بهم إِنْ أَتاكُمْ عَذابُ اللَّهِ أي العاجل الخاص بكم كما أتى أضرابكم من الأمم قبلكم بَغْتَةً أي فجأة من غير ظهور أمارة وشعور.

ولتضمنها بهذا الاعتبار ما في الخفية من عدم الشعور صح مقابلتها بقوله سبحانه: أَوْ جَهْرَةً وبدأ بها لأنها أردع من الجهرة. وإنما لم يقل: خفية لأن الإخفاء لا يناسب شأنه تعالى.

وزعم بعضهم أن البغتة استعارة للخفية بقرينة مقابلتها بالجهرة وأنها مكنية من غير تخييلية. ولا يخفى أنه على ما فيه تعسف لا حاجة إليه فإن المقابلة بين الشيء والقريب من مقابله كثيرة في الفصيح

هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ أي إلا أنتم. ووضع الظاهر موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بالظلم وإيذانا بأن مناط إهلاكهم ظلمهم ووضعهم الكفر موضع الإيمان والإعراض موضع الإقبال. وهذا- كما قال الجماعة- متعلق الاستخبار والاستفهام للتقرير أي قل تقريرا لهم باختصاص الهلاك بهم أخبروني إن أتاكم عذابه جل شأنه حسبما تستحقونه هل يهلك بذلك العذاب إلا أنتم أي هل يهلك غيركم ممن لا يستحقه، وقيل: المراد بالقوم الظالمين الجنس وهم داخلون فيه دخولا أوليا. واعترض بأنه يأباه تخصيص الإتيان بهم، وقيل: الاستفهام بمعنى النفي لأن الاستثناء مفرغ والأصل فيه النفي، ومتعلق الاستخبار حينئذ محذوف كأنه قيل: أخبروني إن أتاكم عذابه عز وجل بغتة أو جهرة ماذا يكون الحال. ثم قيل: بيانا لذلك ما يهلك إلا القوم الظالمون أي ما يهلك بذلك العذاب الخاص بكم إلا أنتم.

وقيد الطبرسي وغيره الهلاك بهلاك التعذيب والسخط توجيها للحصر إذ قد يهلك غير الظالم لكن ذلك رحمة منه تعالى به ليجزيه الجزاء الأوفى على ابتلائه، ولعله اشتغال بما لا يعني. وقرىء «يهلك» بفتح الياء"[١].

- قال تعالى:{ قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ الأعراف الآية [١٢٩]

قال الزمخشري: "عَسى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ تصريح بما رمز إليه من البشارة قبل. وكشف عنه، وهو إهلاك فرعون واستخلافهم بعده في أرض مصر فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ فيرى الكائن منكم من العمل حسنه وقبيحه وشكر النعمة وكفرانها، ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم."[٢]

[١] تفسير الألوسي (٤/ ١٤٥،١٤٦)

[٢] تفسير الزمخشري (٢/ ١٤٤)

الخاتمة والنتائج والتوصيات

عكف هذا البحث على مادة (هلك) في القرآن الكريم دلالة، واستعمالاً، وأساليب فخرج منه بجملة من النتائج أهمها:

١) أن لمادة (هلك) جذوراً لغوية تفيد الإهلاك الكلي بمعنى الاستئصال كما تفيد إهلاكاً جزئياً .. دون ذلك.

٢) أن لمادة (هَلَك) دلالات تفيد: الموت، والعذاب، كما تفيد الضياع والذهاب، والفساد، والكفر والإيمان.

٣) أن لمادة (هلك) استعمالات لغوية يفيدها سياق النَّص التي وردت فيه المادة باشتقاقاتها المختلفة: منها ما يتعلق بالخوف والرجاء كقيمة الدعوة إلى الله عز وجل، والحث على النظر في مظاهر قدرة الله تعالى، وحظر التكذيب بالله تعالى، ومنها؛ ما يتعلق: بوقت وقوع الهلاك، وتنوعه، ودفعه.

ومنها ما يتعلق بتصرفات العباد: كالفساد والظلم، والذنوب، وبطر النعمة، والموعظة، والنفقة، وعدم نفع الندم، وعدم فائدة الحسرة.

٤) أن مادة هلك جاءت في سياق الآيات القرآنية كآيات القرآن جميعها على غاية من إحكام الأساليب العربية خبرية، وإنشائية.

٥) أن مادة (هلك) جاءت كصويحباتها من الآيات على أعلى ما تكون من البلاغة والبديع، وأكمل ما يكون من صور الإعجاز الإلهي.. وسبحانه القائل: (كتاب أحكمت آياته) [هود:١].

<u>التوصيات:</u>

أوصي الباحثين في مجالات علوم القرآن واللغة، والبلاغة بتتبع المواد ذوات الدلالات الشاملة والمتعددة لفنون البحث عنها، ودراستها.. وسيخرج منها بكنوز علمية جَمَّة.

فهرس المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم

ثانياً المصادر والمراجع:

١- معجم مقاييس اللغة لابن فارس، دار إحياء التراث العربي، بيروت ٢٠٠٨.

٢- تاج العروس للزبيدي تحقيق: د/ عبد المنعم خليل إبراهيم، الأستاذ/ كريم سيد محم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٣- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

٤- تفسير مقاتل بن سليمان أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت: ١٥٠هـ) (٢/ ٧٠)

٥- تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ) (٢/ ٣٣٣) الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.

٦- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ) (٥/ ٢٢١) تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ ه.

٧- معجم مختار الصاح للزبيدي ، دار صادر بيروت، الطبعة الأولي٢٠٠٤م.

٨- لمعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي.

٩- جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري(ت:٥٣١٠ه) دار الفكر ، بيروت لبنان ٢٠٠٠م.

١٠- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي(ت:٥٦٧١ه) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١١- التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٢٣/٢٥ – دار الفكر – بيروت – ١٩٩٥

١٢- أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٨

١٣- مسند بن أبي شيبة عن ابن مسعود تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، و أحمد بن فريد المزيدي الناشر: دار الوطن – الرياض الطبعة: الأولى، ١٩٩٧ج١/١٩٨

١٤- موطأ مالك، تعليق وتحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف الناشر: المكتبة العلمية الطبعة: الثانية، مَزِيدة منقحَة.

١٥- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠هـ) تحقيق: علي عبد الباري عطية الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

١٦- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، تحقيق: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان

١٧- تفسير القرآن للسمعاني محمد بن عبد الجبار دار الوطن، الرياض – السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م

١٨- زاد المسير في علم التفسير دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ